

الفرج بعد الشدة

[120] أبو الفرج على بن الحسين المعروف بالاصفهاني، بالاسناد عن محمد بن أبي العتاهية، قال: حدثني أبي قال لما امتنعت من قول الشعر وتركته أمر المهدي بحبسي في السجن سجن الجرائم فأخرجت من بين يديه إلى الحبس فلما دخلته استوحشت ودهشت وذهل عقلي ورأيت منظرا هائلا ورميت بطرفي أطلب موضعا آوى فيه أو رجلا آنس بمجالسته فإذا أنا بكهل حسن السميت نظيف الثياب يبين عليه سيما الخير فقصدته وجلست إليه من غير أن أسلم عليه وأسأله عن شيء من أمره لما أنا فيه من الجزع والحيرة فمكثت كذلك مليا وأنا مطرق مفكر في حالي فأنشد الرجل: تعودت مس الضر حتى لقيته * وأسلمني حسن العزاء إلى الصبر وصيرني يأسي من الناس واثقا * بحسن صنيع الله من حيث لا أدري قال فاستحسن البيت وتبركت بهما وثاب إلى عقلي فأقبلت على الرجل وقلت له: تفضل أعزك الله بإعادة هذين البيتين. فقال لي: ويحك يا إسماعيل ولم لم تكني ما أسوأ أدبك وأقل عقلك ومروءتك، دخلت ولم تسلم تسليم المسلم على المسلم، ولا توجهت لي توجه المبتلى للمبتلى، ولا سألتني سؤال الوارد على المقيم حتى إذا سمعت بيتين من الشعر لم يجعل الله عزوجل فيك خيرا، ولا أدبا ولا جعل لك معاشا غيره لم تتذكر ما سلف منك فتلافاه، ولا اعتذرت مما قدمت وأفطرت فيه من الحق حتى استنشدتني مبتدئا كأن بيننا انسا قديما أو صحبة تبسط المنقبض فقلت له: فاعذرني متفضلا فان دون ما أنا فيه يدهش. قال: وفي أي شيء أنت؟ إنما تركت قول الشعر الذي كان جاهك عندهم وسبيلك إليهم فحبسوك حتى تقوله وأنت لا بد أن تقوله فتطلق، وأنا يدعى بي الساعة فأطالب باحضار عيسى بن زيد بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن دلت عليه فقتل لقيت الله عزوجل بدمه، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خصمي فيه وإلا قتلت. فأنا أولى بالحيرة منك. وأنت ترى احتسابي وصبري. فقلت: يكفيك الله عزوجل. وأطرقت وجهي خجلا منه فقال لي: لا أجمع عليك التوبيخ والمنع اسمع البيتين واحفظهما